# موقع صيدا الوسطاني ١٣٣٥- ١٣٣٩؛ دراسة هندسية ودراسة نمطية وتأريخية للقى الأثرية

أ.د.مهى محمود المصري[*]

**الملخص:**

تُعدّ مدينة صيدا في جنوب لبنان من المدن القديمة، التي ذكرها عدد من المؤرخين والرحالة، كونها مدينة ناشطة تجارياً واقتصادياً واجتماعياً منذ الألف الثالث ق.م. تحوي المدينة عدداً من المواقع الآثرية التي تضم بقايا عمائر مدنية وجنائزية ومحترفات.

أظهرت التنقيبات الآثرية، في العقار١٣٣٥-١٣٣٩، الواقع في منطقة صيدا-الوسطاني، في المقام الأول، صرح مدفني مهم. كما أظهرت، لاحقاً، مجموعة من الأحواض المربعة، المرتبطة ببئر وسطي ومتصلة في ما بينها: وظيفتها تطرح عدة أسئلة.

لجهة الجنوب، عثر على عمائر مبنية، تضم غرف أو صالات متعددة تشكل صرحًا مدفنيًّأ، تحوي عدداً من المدافن، تعود إلى الحقبة الممتدة من القرن الأول حتى القرن الثالث م. أغلب هذه المدافن تضم هيكلًا عظميًّا واحدًا أو أكثر ومجموعة من اللقى الآثرية المهشمة بفعل تنقيبات غير مشروعة بهدف سرقة كل ما هو قيّم.

لجهة الغرب من العقار، بيّنت الأعمال التنقيبية، وجود عددٍ من الصهاريج الكبيرة المزدوجة. جدرانها مطلية بطلاء عازل منعاً لرشح المياه.هذه العمائر، كانت تستخدم لحفظ المياه، و يمكن تحديد استخدامها الرئيس: كمحترف لصناعة النسيج، حيث أن عدداً كبيراً من أدوات تصنيع النسيج المصنوعة من الفخار والعظم والحجارة بأشكال هرمية وعدسية، تشير إلى وظيفته الأساسية. وهذا المحترف يعود إلى أواخر العصر الهيللينستي- بداية العصر الروماني.

كما أسفرت أعمال الحفر الآلي السابق للتنقيب الآثري، للطبقات الآثرية التي كانت تغطي سطح العقار وهي تشكل حقبة هجر المقبرة، عن وجود كميات كبيرة من الزجاج

[*] أستاذ ورئيس قسم الفنون والآثار. كلية الآداب والعلوم الإنسانية-الفرع الخامس-في الجامعة اللبنانية عضو في مركز الدراسات والأبحاث في كلية الآداب (CRESH). .
maha.elmasri@ul.edu.lbmmarcheologie@hotmail.com/

الخام والزجاج المتجمع على حجارة كلسية، كما كميات كبيرة من نفايات الفخار الذائب والمتجمع.

لقد عرفت صيدا منذ القدم وحسب نصوص المؤرخين القدماء أنها مركز حرفي ناشط خلال القرن الأول م، ولكن إلى الآن لم يتم العثور على هذه المحترفات لقلة التنقيبات في المنطقة.

هذه الدّراسة هي محاولة إثبات وجود صناعات محلية، في هذه المنطقة، تستخدم التربة الأساسية لصيدا من طين ورمل وتسهم في التصدير إلى الخارج في الحقبة الممتدة من القرن الأول ق.م حتى القرن الثاني م. وكذلك إثبات أنها من المدن الأولى على الساحل الكنعاني التي تحوي هذا المركز الصناعي خلال القرن الأول م.

**مقدمة**

تُعدّ مدينة صيدا في جنوب لبنان، من المدن القديمة التي ذكرها عدد من المؤرخين والرحّالة، كونها مدينة ناشطة تجاريًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا منذ الألف الثالث ق.م[١]. (الشكل ١). تحوي المدينة عددًا من المواقع الآثرية التي تضم بقايا عمائر مدنيّة وجنائزيّة ومحترفات.

أظهرت التنقيبات الآثرية، في العقار١٣٣٥-١٣٣٩[٢]، الواقع في منطقة صيدا-الوسطاني، في المقام الأول، صرحًا مدفنيًّا مهمًا. كما أظهرت، لاحقًا، مجموعة من الأحواض المربعة، المرتبطة ببئر وسطيّ ومتّصلة في ما بينها: وظيفتها تطرح عدّة أسئلة.

**الإشكالية**

يدل ما تقدَّم الحديث به على أهميّة المستوى الاجتماعي والاقتصادي والتجاري لسكان هذه المدينة الأثرية ومدى اهتمامهم بالمدفن الذي يُعدّ مسكن الحياة الثانية. ما أهمية المقبرة التي كشف عنها في هذا المحيط؟ هل هناك وجود لمحترفات أثرية؟ وهل هناك صناعة محلية للخزف أو غيره من اللقى الأثرية في صيدا؟ ولأية حقبة زمنية تعود هذه الصناعات؟ هل تم تقليد لقى أثرية مستوردة بإطار شرقي محلي أو تم ابتكار لقى أثرية تتمتع بمواصفات خاصة بالمواقع اللبنانية؟ هل كان لمدينة صيدا تواصل وتبادل تجاري مع دول مجاورة أو المدن الساحلية المنافسة؟

**وصف الموقع**

أظهرت التنقيبات الأثرية، في العقار١٣٣٥- ١٣٣٩ (الشكل ٢)، الواقع في منطقة صيدا - الوسطاني، لجهة الجنوب، عمائر مبنية، تضم غرفاً أو صالات متعددة تشكل صرحًا مدفنيًا (الشكل ٣)، تحوي عدداً من القبور، تضم ضمن جدرانها وداخلها عدداً كبيراً من قوارير الزيوت المعطرة (الشكل ٥)، تعود إلى المرحلة الممتدة من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث ميلادي.

---

(1) **Diodore de Sicile**, Livre XIV- XVI XIX. ; **Pline**, Livre V- XII. ; **Herodote**, *The Histories*

(٢) أوكل إليّ إدارة علمية التنقيب ودراسة الفخار في هذا العقار وتأليف فريق مختص من أساتذة وطلاب من الجامعة اللبنانية فرع صيدا، وذلك العام ٢٠١٥.

كما أظهرت، لاحقاً، لجهة الغرب من العقار، وجود عدد من الأحواض الكبيرة المزدوجة (الشكل ٤)، جدرانها مطلية بطلاء عازل مانع لرشح المياه، حيث كانت هذه العمائر، تستخدم لحفظ المياه، ويمكن تحديد استخدامها الرئيس: كمحترف لصناعة النسيج، حيث أن عدداً كبيراً من أدوات تصنيع النسيج المصنوعة من الفخار والعظم والحجارة بأشكال هرمية وعدسية، تشير إلى وظيفته الأساسية (الشكل ١٩–٢٣). ويعود هذا المحترف إلى أواخر العصر الهيللينستي– بداية العصر الروماني.

وفي مرحلة سابقة للتنقيب الآثري، أسفرت أعمال الحفر الآلي، في عملية تحضير العقار للبناء، عن طبقات أثرية كانت تغطي سطح العقار وهي تشكل مرحلة هجر المقبرة، ما أدى إلى تدمير عدد من المنشآت لم يعرف ماهيتها، ولكن يمكننا ترجيح نظرية وجود أفران لصناعة الفخار وأفران لصناعة الزجاج وذلك بعدالكشف عن كميات كبيرة من الزجاج الخام والمتجمع على حجارة كلسية (الشكل٢٤)، ووجود كميات كبيرة من نفايات الفخار الذائب والمتجمع (الشكل٢٠) وأرضيات من الكلس والقرميد مغطاة بطبقة من الحريق والرماد.

يفصل ما بين منطقة الدفن والمحترف جدار فاصل على شكل دائري لم يتبق منه سوى جزء صغير (الصورة رقم ٣).

**وصف المقبرة**

هي جزء من مقبرة استخدمت في المرحلة الممتدة من القرن الأول ق.م حتى القرن الرابع م. مساحتها ١٠٠٠ م$^{٢}$ من مساحة العقار الإجمالي. من غير المعروف ما إذا كانت تمتد ضمن العقارات المجاورة من جهة الشرق وذلك لوجود بناء حديث. وإنما يمكننا الجزم أنها تمتد ناحية الجنوب ضمن العقار المجاور وذلك لدخول بعض القبور أسفل المقطع. وهذا العقار لايزال من دون حفر إلى الآن. هذا الجزء من المقبرة يتألف من ممر وباحة وخمس غرف مدفنية. وكل غرفة تضم مجموعة من القبور والمدافن (الشكل ٦). إذ يبلغ عدد القبور حوالي سبعة وستين قبراً، ثمانية قبور لم تحفر لدخولها ضمن العقار المجاور.

**الغرفة رقم ١**

هي غرفة مستطيلة الشكل، على الأرجح أنها كانت مغطاة بقبة (الشكل ٧). جدرانها المزدوجة مبنية بتقنية الرصف***opus caementicium***، محاطة من جهة الشرق والشمال

بأقنية فخارية لجر المياه دائرية الشكل وأنبوب مربع ***tubulus*** يصبان نحو الغرفة رقم ٧ وفوق قبر مبني من الفخار. أرضيتها من الجص العازل الملون باللون الأحمر اللامع و يبدو عليها آثار من طبقة كلسية لحمايتها. في جدارها الشرقي نجد آثار قاعدتين ربما لوضع تماثيل أو لاستقبال حنية. وبالقرب من الجدار الشمالي نجد بقايا ناووس قائم على قاعدة. مدخل هذه الصالة من جهة الغرب عبر الغرفة رقم ٢، وهي بالتالي تتصل بالغرفة رقم ٣ عبر عتبة مدخل من الرخام[٣]، موضوعة في الجدار الغربي للغرفة. اتجاه الحنية نحو الشرق ما يسمح لنا بوضع نظرية مصلى[٤] خاص بمنطقة الدفن[٥]، ربما كانت مدفن فردي لأحد الشخصيات المهمة. لم تحفر أرضيتها، وذلك كي لا نتخطى المستوى المطلوب للعمار من القيّمين على المشروع.

**الغرفة رقم ٢**

تتداخل هذه الغرفة مع العقار المجاور، حفر جزء منها، حيث تبين وجود أرضية كلسية وهي تحيط بالغرفة رقم ٣ من جهة الجنوب وتشكل مدخل الغرفة رقم ١. لم يعثر فيها على قبور. وإنما في جدارها الشمالي **(**أي جدار الغرفة رقم ٣**)** حجارة ضخمة، سماكتها رفيعة، يبلغ طولها حوالي ٣ أمتار.

**الغرفة رقم ٣**

هي من أكبر الغرف المدفنية وأهمها ربما تعود إلى مدفن عائلي أو أفراد من نفس المهنة، عدد القبور الإجمالي ضمنها هو سبعة وعشرون قبراً. تقسم إلى قسمين: شرقي وغربي **(**الشكل ٨– ٩**)**. الجهة الغربية هي صرح مدفني مكون من عدة قبور مبنية فوق بعضها البعض، مدخل القسم الشرقي من الجهة الغربية أي من الباحة أو الممر رقم ٤ **(**وهو المدخل الرئيس لغرف الدفن كافة أو الممر الموزع للغرف المدفنية**)**. الواجهة الشرقية تضم ثلاثة قبور عُلوية تعود إلى نهاية القرن الثالث م. واسعة الحجم، أرضيتها وجدرانها

---

(3) **Yves Marcadal et Jean-Louis Paillet** ; « Blocs architecturaux de tradition hellénistique ». p. 27-62.

(٤) مصطلح مصلى من اللغة الفرنسية ***mausolée*** يعني صرح مدفني بحجم كبير. في اليونان يطلق عليه مصطلح ***thaumasia***

**(5)Priscilla Munzi et Jean-pierre Brun** ; « Cumes (Italie) . Les fouilles du centre Jean-Bérard ». P. 146-171.

مطلية بالجص الأبيض ومزخرفة بأشكال نباتية حمراء أو ربما رمز الصليب الذي يشير إلى بداية المسيحية (الشكل ١٠-١١). هذه القبور تغطي عدداً من القبور السفلية التي تعود إلى أواخر القرن الأول ق.م ومنتصف القرن الأول م. صغيرة الحجم والاتساع ربما هي إشارة إلى أن المتوفى كان يلف بكفن. أما جدران هذه القبور، فهي مزخرفة بالجص المطبع بقوالب تشبه التوابيت الرصاصية (الشكل ١٢). تحوي أغلبها قوارير فخارية للعطور والزيوت المعطرة من صناعة محلية (طينة صيدا)، إما موضوعة على أرضية القبر أو في حشوات الجدران (الشكل ٥). يُدخل إلى القسم الغربي عبر الغرفة رقم ١. تضم القبور هيكلاً عظمياً واحداً أو أكثر. بعضها يحوي على توابيت رصاصية (الشكل ١٢). وهناك قبور منقسمة إلى قسمين.

ظهر نقشٌ -باللغة اليونانية- على أحد القبور، يرمز إلى السيد المسيح بالإضافة إلى الصليب: (khi : X et ro : P) κ ρ (┼)(T)(ς وهذه الكلمة تعني "السيد".

**الغرفة رقم ٥**

وقد عثر على عددٍ من القبور (١٦ قبراً)، شيّدت على أنقاض قبورٍ في مرحلةٍ سابقةٍ (٢٣ قبراً). وقد فصل بين هذه القبور جدارٌ فاصلُ (٨ x٨). وقد كانت صغيرة الحجم، ضيقة، مبنية من الحجارة الطبيعية (الشكل ١٣). منها ما حوى توابيت مصنوعة من فخار، والبعض الآخر كان مغلقاً بحجارة رملية على شكل بلاطات. وقد ضمت هذه القبور هيكلاً عظمياً واحداً أو أكثر، حفر منها ثمانية، أما القبور الباقية لم نستطع حفرها لتداخلها مع العقار المجاور.

**الغرفة رقم ٦**

أكبر الغرف وأوسعها، لم يُعثر ضمنها على قبور وإنما شكلت جدرانها موضعاً لقبرين، كما عثر في زاويتها الغربية على جرة مدفنية صغيرة تحوي عظاماً صغيرة ربما لجنين.

أما في أعلى الجدار الشرقي عند الزاوية الجنوبية، فقد ظهر عنصر معماري زخرفي هو كورنيش منحوت (***corniche / architrave***)، ويبدو أن هذا الجدار كان قد مرّ بعدة مراحل من الترميم والبناء. ونرجح وجود مدخل كان محدداً في وسط الجدار تم إغلاقه عند طرف الكورنيش لوجود خط عمودي فاصل بين جوانب الجدار.

إن اتساع الغرفة ووجود هذا العنصر الزخرفي ربما يعود إلى معبد صغير ***mithraeum***[٦] من القرن الأول – الثاني م[٧]، مرتبط بعقيدة الإله ميترا[٨].

**الغرفة رقم ٧**

تقع في الجهة الشمالية مقابل الصالة رقم ١. تحوي قبرين، أحدهما مبني من القرميد ***tubulus / tegulae*** ، ومغطى ببلاطات من الحجر الرملي، أما القبر الثاني، فهو من الجص، وجد خاليًا، ومتصلًا بجدار الصالة رقم ١. فوقهما يصب أنبوبان من الفخار ***Tubuli***، ربما لإراقة المياه وهي طقس ديني له علاقة بالخصوبة، ما يرجح أن القبور تعود إلى النساء. في وسط الغرفة، حوض لحفظ المياه متصل ببئر دائري، كان مغلقاً بواسطة حجارة طبيعية (الشكل ١٤). ما يجعلنا نطرح عدة ترجيحات؛ –

– عدُّ هذا البئر قبراً، كونه يقع في محيط المدافن، ولكن عدم اكتشاف هياكل في الطبقات الأثرية ضمنه، جعلنا نميل إلى نفي هذا الاحتمال.

---

[٦] معبد مخصص لعبادةالإله ميترا، في بداية انتشار هذه العقيدة كانت المعابد عبارة عن مغاور وفي وقت لاحق تحولت إلى غرف مغلقة ومظلمة من دون نوافذ. حولت أغلبها إلى كنائس لاحقاً.

[7]**Priscilla Munzi et Jean-pierre Brun** ; « Cumes (Italie). Les fouilles du centre Jean-Bérard ». P. 146-171.

[٨]ميترا **Mithra** إله إيراني قديم تشير معظم الدلائل إلى أصوله الهندو. أوربية، فقد تأثرت عبادة ميترا بعلم النجوم الكلداني الذي ترعرع عند مجوس آسيا الصغرى وما حولها وهي العبادة التي تعدّ ميترا إله الشمس، فكانت الشمس دائماً رمزاً للنور ومنها النهار، ومقره الشمس. ويُعتقد أنّ ميترا ـالإله ربما عُرف قبل انفصال فرع غزاة الهند الآريين عن جذعهم الإيراني، وذلك لأنه مذكور في الوثائق السنسكريتيّة والفارسيّة القديمة منذ عصور ما قبل الزرادشتيّة، وقد تسلّلت عبادة ميترا الإيراني– إله الشمس والعدالة والعقود والحرب . إلى روما، وهناك عُرف باسم ميترا. كانت بداية الانتشار العريض للميترويّة في روما في ظلّ الأباطرة الفلافيين **Flavian** في الربع الأخير من القرن الأوّل للميلاد. ولكن لا توجد أيّ إشارة إلى الإله الفارسي في العالم الروماني حتى بداية القرن الميلادي الثاني؛ ومع ذلك، فمنذ العام ١٣٦ وما بعد، كان ثمّة عدد من النقوش المكرّسة لميترا. ومع نهاية القرن الثاني بدأت الديانة تنتشر بسرعة في صفوف الجيش وبين طبقات التجّار والعبيد؛ ومعظمهم من الآسيويين. وازدهرت عبادة ميترا خاصة في معسكرات الجيش، وعلى طرق التجارة؛ وفي الموانيء. ومنذ القرن الثاني للميلاد، راح الأباطرة يشجعون على انتشار الميترويّة؛ لأنها تدعم الحق الإلهي للملوك.

**Franz Cumont**, *Textes et monuments figurés relatifs aux mystères de Mithra*, p. 554.

– إن وجود هذه المنشأة في منطقة الدفن ربما قد يشير إلى طقوس جنائزية (استقبال القرابين)، لا إلى استخدامات يومية كما كان متعارف عليه في المنطقة السكنية في ذلك الوقت.

– وقد كان هذا البئر –بالإضافة إلى الحوض– متعلقًا بالمعبد المرجح وجوده، وذلك من الناحية الدينية (قيام شعائر وطقوس دينية)[٩].

– أما الاحتمال الأخير، فهو ترجيح ارتباط هذا البئر بالمنطقة الصناعية التي كُشف عنها في القسم الغربي من العقار.

**الغرفة رقم ٨**

هي موازية للغرفة رقم ٦، يفصلهما الجدار نفسه، تضم عدداً من القبور المبنية من حجارة كلسية. هي أوسع الغرف المدفنية وأعمقها. كانت مغطاة بحفرة ربما هي ***Favissa*** أو حفرة إخفاء الدمى الطينية المقدسة، وموقد للحرق ***ustrina***، عثر فيه على نفايات نواة الزيتون ومواد أخرى مشتعلة. هي دلالة على الوليمة المدفنية التي كانت تقام على شرف المتوفى. كما عثر على مقاعد جانبية كانت مخصصة للجلوس بالقرب من الموقد. هذه الغرفة كانت محاطة بجدران مزدوجة وبأنابيب وأقنية ماء[١٠]. ما يجعلنا نميل إلى الإعتقاد بوجود تصميم ثلاثي الغرف الذي يرمز إلى "البازيليك".

**الدفن في الموقع**

استمر الدفن من القرن الأول ق.م حتى القرن الرابع م. وقد تعددت الأنماط التي كانت تعتمد في الدفن، فمنها البسيط وهو حفر في التراب(ضمن القسم ب) أو على صفيحة خشبية، مبنية من حجارة مقصبة أو حجارة طبيعية، توابيت من القرميد ***Les coffrages de tuiles***،(مغطاة ببلاطات من القرميد أو الحجارة ***Les coffrages ou calages de pierres et de tuiles***) أو نواويس من الرصاص، نواويس حجرية***Sarcophages***، أو قبور مختلطة، بالإضافة إلى جرار مدفنية***Les inhumations en amphore*** والأهم هو القبور الجصية المبنية على ***(Les tombes d'un dé en opus reticulatum recouvert d'enduit)*** طبقات. أغلب القبور تحوي هيكلاً واحداً والبعض الآخر يضم عدة هياكل:

---

(٩) راجع الصفحة السابقة عن الغرفة رقم ٦.

(10) **DOSSIER** : *Rites et monuments funéraires chez les gallo-romains*. P. 1-6.

– مدفونة على الظهر ***decubitus dorsal***، يد موضوعة على الصدر والأخرى ممتدة على طول الجسد.منها ما هو دفن أولي ومنها ما هو دفن ثانوي. ولا ننسى وجود تجمعات للعظم في زوايا القبور، ما يشير إلى إعادة استخدام القبر مع احترام المتوفى السابق، حيث يتم جمع الرفاة في زاوية القبر.

– إن بعض الهياكل كانت موجهة شرق–غرب، والبعض الآخر شمال–جنوب، في حين أن وضعية الرأس كانت موجهةً نحو الغرب. ونرجح أن هذه الطريقة كانت سائدة بالأغلب مع بداية المسيحية،

– ومنها، ما كان يبدو وكأنه قد لفّ بكفن.

– والبعض الآخر موضوع بطريقة الأرجل الملوية.

– مجموعة من الهياكل كانت محاطة بحجارة، والبعض الآخر مرفوع رأسه على حجر (ربما الهيكل كان مدفوناً ضمن تابوت خشبي).

عدد من الشواهد المدفنية (الشكل ١٨) كُشف عنها في الموقع، إحداها كانت منقوشة بكتابة يونانية تشير إلى الشخص "أيونا، طفلة جيدة رحلت، الوداع" ,Ἴονα, Χρη͡στὴ καὶ ἄωρε χαῖρε˙. يعود تاريخها إلى منتصف القرن الأول ونهاية القرن الثاني م.

هذه الشواهد خاصة بمدينة صيدا، وهي على شكل عمود يرتفع فوق قاعدة مربعة[١١].

**المحترف أو المنطقة الصناعية**

كشف عن منشأة صناعية غرب من العقار ١٣٣٩، كانت مجموعة من الأحواض المتصلة ببعضها البعض والمستندة على بئر دائري، وكانت مجهزة بأقنية وأنابيب دائرية، جدرانها مبنية من الحجارة الطبيعية المدمجة بمونة إسمنتية ومطلية من الداخل بالجص العازل ***(Des murs d'un dé en opus reticulatum recouvert d'enduit hydraulique)***.

إن هذه المنشأة التي كانت تحوي المياه لها عدة استخدامات، منها:

– أحواض للري كون منطقة الوسطاني هي أراضٍ خصبة للزراعة وخاصة الحمضيات.

– خزانات مياه وظيفتها حفظ الماء لاستخدامات يومية أو الحمامات.

– أحواض متعلقة بالطقوس الدينية والجنائزية لوجودها قرب من المقبرة.

[11] **Georges Contenau.** « Mission archéologique à Sidon (1914) ». pp. 16-55; « Les cippes ». 1920. pp. 287-317.

– الترجيح الأخير والذي نميل إليه، منطقة صناعية: صيدا عرفت منذ القدم كونها مدينة الحِرف.

إن وجــود حــوض مــزود بحفــرة مخصصـــة للترقيــد ***bassin de décantation*** ربما هو مؤشر لوجود حي صناعي في هذا القسم.

**الحوض الكبير**

بُنيت جدرانه من الحجارة الطبيعية المدعمة بمونة إسمنتية والمطلية بالجص العازل، ما عدا الجدار الشرقي، فقد كان مبنيًا من حجارة مقصبة أعيد استخدامها في البناء(١٢).

تختلف الطبقات السفلية الداعمة لهذه الجدران من الجهات كافة. أما شكله فهو مربعَ (4.45 mx 4.8 m)، قسم من الداخل إلى قسمين في مرحلةٍ معاصرةٍ للجدار الشرقي. ويبدو أن أرضيته مرت بعدة مراحل من الرصف ما يشير إلى إعادة استخدام هذه المنشأة في عدة عصور. تمتاز الجدران الثلاثة المطلية بالقرب من الأرضية بأطراف محدّبة، أما أعلاها فهو مسطح ومطلي.

**الحوض الصغير**

شمال–غرب الحوض الكبير، وعلى مستوى أدنى منه، كشف عن حوضٍ مربعٍ الشكل، صغير الحجم يتصل بالجدار الشمالي (0,35 م). هذا الحوض مزود بفتحة تصب نحو الشرق. ربما هو حوض للترقيد.

**البئر الدائري**

هو بئر دائري الشكل، من الداخل(٤,٢٥ م x ٤,٨٥ م) ومن الخارج ( ٤,٣٠ م x ٤,٧٠ م)، يتصل بالحوض الكبير من جهة الشرق. وقد بنيّ من حجارةٍ متوسطةٍ على عدة مراحل. أما الجهة الشرقية الداخلية منه مزدانة بصفين من الحجارة الكبيرة المكونة من سبعة مداميك تشكل حافة البئر أو ربما غطاء. في حين أن الجهة الخارجية العلوية مطلية

(١٢) يلاحظ عليها آثار طلاء تشبه المدافن العلوية التي كشفت في الصالة رقم ٣، ويعود تاريخها إلى القرن الثالث م. وهذا إن دلّ على شيء إنما هو استمرار استخدام هذه المنشأة للصناعات الحرفية إلى ما بعد هذا التاريخ ربما حتى القرن السادس م. ولنفس الاستخدامات.

بالجص العازل. وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على أن هذه المنشأة ليست بئرًا إنما مرتبطة بالصناعات الحِرفية. وهذا ما يفسر عدم وجود لقى أثرية في الطبقات السفلية.

**حوض الترقيد**

هو حوضَ دائري الشكل مطلي بالجص العازل (٢,٦٥ م). في وسطه حفرة واسعة على شكل صحن عميق. وكان يستخدم للترقيد.

حول هذه المنشآت الصناعية، تم الكشف عن خزف ودمى طينية وزجاج، بالإضافة إلى كمية كبيرة من الثقالات أو الأوزان المصنوعة من الطين وحصى الشاطئ. التي كانت تستخدم في صناعة النسيج.

كما عثر على قبرين، الأول لطفل دفن في جرة مستوردة من رودس، والآخر هو حفرة في التراب.

كما تم الكشف عن أنقاض أفران وبقايا منها، أرضيتها من القرميد مغطاة بطبقة من الرماد والحريق. ومن كميات كبيرة من الحجارة الكلسية المغطاة بطبقة من الزجاج الخام. إضافةً إلى نفايات الفخار الذائب نتيجة عدم نضجه خلال عملية الشيّ.

**اللقى الأثرية**

عُثر على كميات كبيرة من الأواني الفخارية: جرار، وأواني الطبخ، وأواني المائدة، وقوارير العطور، ودمى طينية. والجدير بالذكر أن هذه الأواني بأغلبها صناعة محلية من طينة مستخرجة من صيدا وهذا ما دلت عليه بعض التحاليل الكيميائية في مختبر الجامعة اللبنانية[١٣]. كما تميزت هذه الفخاريات بأنماط جديدة لم يعثر عليها إلا في صيدا

---

[١٣] دراسة قيد التحضير بواسطة الدكتورة ميرة جعفر في مختبرات الجامعة اللبنانية. هذه الدراسة الأولية دلّت على وجود صناعة محلية في صيدا وذلك بعد أخذ عينات من صلصال موجود في بعض المواقع الآثرية وعينات من بعض الفخاريات. تم مقارنتها بواسطة ***Microscopie à balayage électronique*** (***MEB***) وهي تقنية تعتمد على تعريض العينات للالكترون الذي يرج سطح العينة حيث تظهر بعض الذرات مما يسمح بتحليل هذه الذرات ومعرفة ماهيتها.وللتأكد من النتيجة السابقة، استخدمت تقنية ***Spectroscopie à rayons X à dispersion d'énergie (EDS)*** وذلك لمقارنة عينة طينة الفخار وعينة الصلصال المرفوع من صيدا والتي أظهرت التركيبة والذرات نفسها في كل من العينات.

ومحيطها. ولا بد من ذكر وجود عدد من الأواني المستوردة من جزيرة رودس وميسان وتركيا إضافةً إلى افريقيا وفلسطين.

كما عثر على ٨٥٠ مسكوكة معدنية من البرونز والفضة، دُرس منها ما يقارب ٢٤٥ مسكوكة. بعض هذه المسكوكات أثبتت أنها من سك مدينة صيدا، نقش عليها اسم امرأة هي جوليا مايسا **Julia Maesa.**

أمـــا الاكتشـــاف الأهـــم فهـــو أدوات صـــناعة النســيج، حيـــث كشـــف عـــن عـــدد كبيـــر مـــن مكـــوك النســيج ***Fusaïole*** [١٤]، المصـــنوع مـــن الحجـــارة أو الزجـــاج أو العظـــم، تضـــاف إليهـــا مجموعـــة مـــن الثقـــالات المصـــنوعة مـــن الطـــين المشـــوي: دائريـــة أو هرميـــة الشـــكل وحـــوالي ٤٠٠٠ قطعـــة حجريـــة محززة، وبعض الأدوات الزجاجية والعظمية استخدمت لنفس الغرض.

**موقع الوسطاني والمدافن المكتشفة قديماً وحديثاً**

على الرغم من أن صيدا تزخر بالمدافن المتفرقة[١٥]، ولكن إلى الآن ليس لدينا حدود واضحة لمدينة الأموات أو حتى حدود المدينة السكنية وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى قلة التنقيبات من جهة وإلى قلة نشر تقارير التنقيبات الإنقاذية من جهة أخرى. وبالتالي ليس لدينا أية فكرة عن مداخل المقبرة، والحدود، وطرق التنقل، وخريطة كاملة للمقبرة. ولكن يمكننا تحديد بعض الإحداثيات من خلال التنقيبات القديمة والحديثة التي جرت في صيدا. أما في ما يخص المحترفات لم نجد أي دليل ضمن منشورات حديثة عن وجودها داخل صيدا وإنما فقط من خلال المصادر التاريخية. أما ما يمكننا استنتاجه:

**أولاً:** من المتعارف عليه، أن مدينة الأموات كانت توضع خارج أسوار المدينة في المرحلة الرومانية تحديداً، تطبيقاً للقانون الروماني؛ وهذا ما تؤكده كل من هذه المواقع المكتشفة. وعلى الرغم من تباعد المراحل الزمنية والقوانين التي تحكمها، فإن هذه الأجزاء من المقابر، تقع على مسافات متباعدة، ولكن ما يهمنا هو الإضاءة على أنّ كل منها يضم صروحًا مدفنية ولو أنها من حقبات مختلفة. أي أن المحيط المدفني في صيدا يمتد على

---

[١٤] عرف هذا المصطلح باللغة الإيطالية حوالي سنة ١٨٦٠-١٨٧٠ بعد أن استخدمه العالم SCHLIEMANN

[15] **Hélène Sader**, « Nécropoles et tombes Phéniciennes du Liban ». P. 17-18.

منطقة واسعة خارج حدود المدينة السكنية قديماً ويحيط بها من الجوانب كلها، حيث نجد أن مدافن الحقبة الرومانية تتركز عند أطراف المدينة وعلى مفترق طرقات (الوسطاني)، ومدافن عصر البرونز وعصر الحديد وبعض مدافن المرحلة الهيللنستية تتركز في محيط الدكرمان الذي يعدُّ من ضواحي صيدا الواقعة على خط شبكة الطرقات الرئيسة. بينما مدافن القرن السادس ق.م وبعض المقابر من العصر الروماني، تتركز في المناطق المحيطة بصيدا (القياعة، الهلالية، مية ومية، البرامية، عين الحلوة...) والتي هي بدورها واقعة على شبكة طرقات رئيسة[١٦]. وعند مقارنة المقبرة التي عثر عليها في موقع الوسطاني تبين لنا الشبه ما بينها وبين موقع الهلالية_البرامية، إن لجهة العمارة أو الجص الملون[١٧].

**ثانياً:** إن العثور على أوانٍ جنائزية في مختلف المواقع، ساعدت على فهم العادات الاجتماعية والثقافية والطقوس المدفنية التي كانت تقام خلال الحقبات الزمنية مع اختلاف الأنماط المستخدمة في كل مرحلة. هذه الأنماط المقلدّة أو المبتكرة كانت تؤكد على وجود صناعات محلية في المدينة (الشكل ٢٠-٢١-٢٢).

**ثالثاً:** لقد أثبتت جميع  دراسات اللقى في هذه المواقع عن استخدام طينة واحدة وبشكل كبير في الصناعات الفخارية على مر العصور، ما يؤكد وجود محترفات محلية تصنع أوانيها من خلال طينة محفورة من مقالع ضمن مدينة صيدا (الشكل ٢٠- ٢١- ٢٢- ٢٣).

**رابعاً:** أما بالنسبة إلى مراكز العبادة، وحسب كلود ضومط سرحال كان هناك معبدَ داخل الأسوار عثر على أنقاضه ضمن موقع الثانوية[١٨]، بالإضافة إلى معبدٍ خارج الأسوار وهو معبد أشمون في بستان الشيخ، وهذا أيضاً ينطبق على مدينة صور[١٩]. يمكن أن نضيف إلى ذلك احتمال وجود معبد في موقع الوسطاني ١٣٣٥، وهذا ما أشرنا إليه في حديثنا عن الغرفة رقم ٦. هذا ما يجعلنا نستخلص أن أغلب المدن الفينيقية مثل جبيل وبيروت وتل سوقاس كانت تتمتع بمعابد مبنية على الساحل مباشرة باستثناء صيدا وصور وأرواد،

---

[16] **Nina Jidéjian**, “Greater Sidon and its “Cities of the dead”. P. 15-24.
[17] **Nina Jidéjian**, “Greater Sidon and its “Cities of the dead”. P. 15-24.
[18] **Bordeuil Pierre**, et **Doumet Serhal Claude**, « Un nouveau temple phénicien à Sidon ».
[19] **Renan E.**, *Mission de phénicie*. P. 836

التي كانت المعابد والمدافن فيها خارج المدينة وفي محيطها. أما المقابر التي وجدت داخل الأسوار، فهي مرتكزة في منطقة محددة هي الدكرمان والوسطاني[٢٠].

**الخلاصة**

إن موقع الوسطاني منقسم إلى قسمين بوساطة جدار فاصل:

**القسم الأول:** يمثل جزءًا من مقبرة تعود إلى الحقبة الرومانية أي القرن الأول م. والتي تم استخدامها في القرن الثالث والرابع م. تحديداً. فنجد أن الصالة رقم ١، موجهة نحو الشرق، ما يسمح لنا بوضع نظرية مصلى خاص بمنطقة الدفن أو إنها كانت مدفن فردي لأحد الشخصيات المهمة. فالكشف عن آثار قاعدتين في الجدار الشرقي ربما يدّل على وجود حنية للصلاة. يعود تاريخ الطبقة العلوية من هذه الصالة إلى بداية القرن الثالث.

أما الصالة رقم ٣، فإن واجهتها الشرقية تضم ثلاثة قبور عُلوية تعود إلى نهاية القرن الثالث م. واسعة الحجم، مطلية بالجص الأبيض ومزخرفة بأشكال نباتية حمراء أو ربما رمز الصليب الذي يشير إلى بداية المسيحية. هذه القبور تغطي عدداً من القبور السفلية التي تعود إلى أواخر القرن الأول ق.م ومنتصف القرن الأول م. هي دليل آخر على استمرار الدفن في هذا الجزء من المقبرة وتعديل أقسامها حسب متطلبات العصر. كما تدّل على وجود مرحلة بداية المسيحية في صيدا. واعتناق الصيداويين الدين المسيحي وذلك موجود من خلال نقش على أحد القبور يرمز إلى السيد المسيح باللغة اليونانية بالإضافة إلى الصليب: (khi : X et ro : P) κ ρ (┼)(T)(ς. كذلك ما وجد في الصالة رقم ٦، في الجدار الشرقي عند الزاوية الجنوبية في الأعلى، وهو عنصر معماري زخرفي ربما كورنيش منحوت corniche / architrave، ربما يشير إلى وجود معبد صغير mithraeum يعود إلى القرن الأول – الثاني م، مرتبط بعقيدة الإله ميترا.

ووجود أقنية للمياه من الفخار، تصب فوق القبور وفي الصالة رقم ٧، ربما لإراقة المياه وهي طقس ديني له علاقة بالخصوبة ما يرجح أن القبور تعود إلى نساء. أما وجود الحوض المتصل ببئر دائري، له عدة ترجيحات تطرح في هذا السياق أولاها عدُّ هذا البئر

[٢٠]-العثور على بقايا معبد يعود لعبادة ميرتا وهي عقيدة سادت خلال الفترة الرومانية في الثكانات العسكرية الرومانية في المدن خارج نطاق روما.

قبراً، كونه يقع في محيط المدافن، أو أن وجود هذه المنشأة في منطقة الدفن ربما يشير إلى طقوس جنائزية (استقبال القرابين). كما يمكننا أن نضع نظرية أن هذا البئر والحوض هما متعلقان بمعابد، ولهما وظيفة دينية، كانت مسرحاً لطقوس مختلفة. أو على علاقة مباشرة مع المنطقة الصناعية التي تقع في العقار نفسه.

كانت الغرفة رقم ٨، مغطاة بحفرة ربما هي *Favissa*، والعثور على موقد للحرق *ustrina*، يحوي نفايات نواة الزيتون ومواد أخرى مشتعلة. هي دلالة على الوليمة المدفنية التي كانت تقام للميت. هذه الغرفة كانت محاطة بجدران مزدوجة وبأنابيب وأقنية ماء، كما عثر على مقاعد جانبية ملاصقة للجدران كانت مخصصة للجلوس. ربما هي ترجح نظرية وجود تصميم ثلاثي الغرف مما يرمز إلى وجود بازيليك.

إذاً بعد كل ما تقدم حول المقبرة، نرى أنها كانت تستخدم خلال الحقبة الرومانية (القرن الأول ق. م. حتى القرن الثاني م.) وهي المرحلة التي سادت فيها عبادة الإلهة ميترا. هل يعني هذا وضع احتمال أنّ مقبرة الوسطاني كانت مخصصة للجنود الرومان؟ وهذه البقعة هي مركز عقيدة الإله ميترا؟

كما نلاحظ أن الدفن في هذه المقبرة استمر خلال القرن الثالث والرابع وذلك بعد الغاء كل العقائد الدينية القديمة وإعلان الدين المسيحي ديانة رسمية. فهل حول هذا المركز الديني إلى بازيليك مسيحي لنهي الشعوب عن الديانات التي كانت سائدة ودفعهم لاعتناق الدين المسيحي؟

**القسم الثاني:** هو حي صناعي يضم محترفات للنسيج والخزف والزجاج تعود تاريخياً إلى نهاية القرن الأول ق.م حتى القرن الثاني م. بالإضافة إلى طبقات أثرية تعود إلى المرحلة الهللينستية والفارسية. هذه الأحواض لم نعثر على شبيه لها في أية منطقة لبنانية، ففي مدينة صور عثر على أحواض رجحت أنها للحِرف ولكن تختلف من حيث الشكل، ويعود بعضها إلى القرن الرابع م والبعض الآخر إلى القرن الثاني عشر[٢١]. كما أن في مصر عثر على عدة أحواض عرفت على أنها لصباغ النسيج ومن المعروف أن الأصبغة تترك

[21] - **Maha Masri,** « Études sur le mobilier et l’artisanat : les installations artisanales ». P.

آثاراً على أطراف وحواف الجدران ولكن لم نعثر على أي آثارٍ للصباغ –على جدران أحواض صيدا–.

إن الكشف عن بقايا محترفات وأجزاء من أفران في الوسطاني، أكدت نظرية وجود صناعة محلية، بانتظار نتائج التحاليل الكيميائية التي هي قيد الإجراء لتأكيدها بشكل دقيق. وقد تبين أنّ القطع التي عثر عليها في المواقع المحفورة حديثاً في صيدا لها استخدام جنائزي، منها للسوائل: الخمر، العسل، الماء، العطور أو الزيوت المعطرة، ومنها للحبوب. وكانت أغلبها تستخدم في الطقوس الدفنية كإعداد وليمة عن أرواح الموتى وإراقة السوائل.

وفي الختام، لا بد من ذكر أن عدة أعمال تنقيبية جرت في هذا الجزء الداخلي من المدينة كانت عبارة عن تنقيبات إنقاذية لم يصلنا عنها شيء. أما خلال عامي ٢٠١٥– ٢٠١٦، تم حفر كل من موقع الوسطاني ١٣٣٥ وموقع الوسطاني ١٣١٨[٢٢]، حيث ظهر بقايا أفران خاصة بصناعة الفخار والزجاج، مكنتنا من خلال دراستها ودراسة اللقى، حسب الأنماط والأشكال، بالإضافة إلى تحاليل فيزيائية– كيميائية من معرفة ما إذا كانت هذه المحترفات تستخدم الصلصال المحلي في المنطقة لجهة تصنيع الفخار. وكذلك في ما يخص الزجاج ما إذا كان فعلاً إنتاج مدينة صيدا.

[٢٢] موقع الوسطاني ١٣٣٥، كان لي حق الإدارة العلمية خلال عام ٢٠١٥. أما موقع وسطاني ١٣١٨ ، أشرف على إدارته العلمية د. زياد العريضي. وقد أوكلت لي دراسة الفخار المكتشف في هذا الموقع.

**قائمة المصادر والمراجع**

## المصادر الأجنبية

**Diodore de Sicile, 1997,** Bibliothèque Historique, Livre XIV- XVI XIX.
**Herodote, 1920,** The Histories. Translation by Alfred D. Godley. Cambridge.
**Pline, 1829**, Livre V- XII.

**المراجع الأجنبية**

**BORDEUIL Pierre, & DOUMET-SERHAL Claude., 2014,** « Un nouveau temple phénicien à Sidon ». *L'académie des inscriptions et belles lettres*.
**CONTENAU Georges, 1920**. « Mission archéologique à Sidon (1914) ». *Syria*. Tome 1. pp. 16-55.
**CONTENAU Georges, 1920**. « Les cippes ». *Syria*. Tome 1. pp. 287-317.
**DOSSIER :** Rites et monuments funéraires chez les gallo-romains. Mars 1988. P. 1-6.
**FRANZ Cumont**, **1896**, *Textes et monuments figurés relatifs aux mystères de Mithra*, Vol II, H. Lamertin, Bruxelles, p. 554.
**GATIER Pierre-Louis, 2011,** « Mission archéologique de Tyr. Rapport préliminaire 2008-2009 »**.** *BAAL* 14.
**MASRI Maha, 2011,** « Études sur le mobilier et l'artisanat : les installations artisanales », in Pierre-Louis Gatier, **Mission archéologique de Tyr. Rapport préliminaire 2008-2009.** *BAAL* 14.
**MASRI Maha, 2016,** Étude préliminaire du mobilier céramique Saida Wastani 1335. Rapport préliminaire DGA.
**MASRI Maha, 2016,** Mission d'investigations archéologiques dans la parcelle 1335/ Saida- Wastani (Liban). Rapport préliminaire DGA
**JIDÉJIAN Nina**, Greater Sidon and its "Cities of the dead". National Museum News Tenth issue: The Millennium Edition. P. 15-24.
**MUNZI Priscilla et BRUN Jean-pierre, 2009-2010;** « Cumes (Italie). Les fouilles du centre Jean-Bérard 2000-2010 ». *Bulletin de la Société Française d'archéologie classique* XLI. P. 221.
**MARCADAL Yves, PAILLET Jean-Louis**, **2011**, « Blocs architecturaux de tradition hellénistique de l'oppidum des Caisses de Jean-Jean (Mouriès, Bouches-du-Rhône) », *Revue archéologique* 1 (n° 51), p. 27-62.
**RENAN Ernest, 1864,** Mission de phénicie. Imprimerie impériale, Paris.
**SADER Héléne, (1995),** « Nécropoles et Tombes Phéniciennes du Liban », *Cuadernos de Arqueología Mediterránea 1*. pp. 15-33.

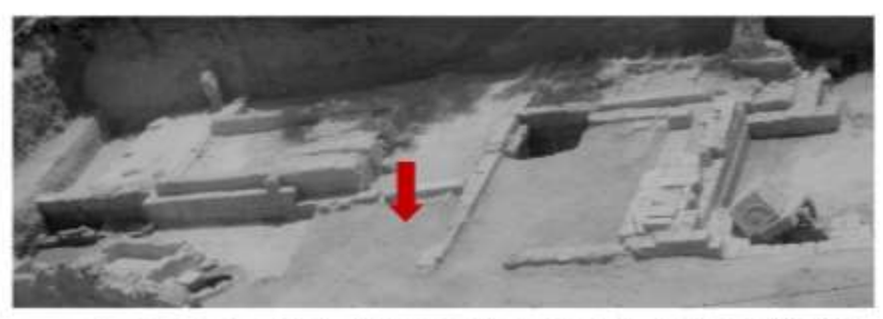
اللوحة رقم 1





الشكل 2: موقع وسطاني 1335 من خلال google Earth

الشكل 1: خريطة صيدا وموقع منطقة الوسطاني (تصميم ندين تنير)



الشكل 3: الصرح المدفني والجدار الفاصل ما بين المقبرة والحي الصناعي. (تصوير شخصي)







الشكل 4: المنطقة الصناعية. (تصوير شخصي)

الشكل 5: قوارير العطور الموضوعة في أحد القبور أو في حشوات الجدران. (تصوير شخصي)

**اللوحة رقم 2**




الشكل 6: توزيع الغرف المدفنية. (تصوير شخصي)




الشكل 7: الغرفة رقم 1. (تصوير شخصي)





الشكل 8: الغرفة رقم 3. القسم الغربي. (تصوير شخصي)

اللوحة رقم 3




الشكل 9: الغرفة رقم 3. القسم الشرقي. (تصوير شخصي)






الشكل 10- 11: التلوين على الجص في الغرفة رقم 3. (تصوير شخصي)






**اللوحة رقم 4**



الشكل 12: تابوت من الرصاص وجدران قبور مزخرفة بالجص المطبع بقوالب تشبه التوابيت الرصاصية. (تصوير شخصي)



الشكل 13: الغرفة رقم 5.
(تصوير شخصي)

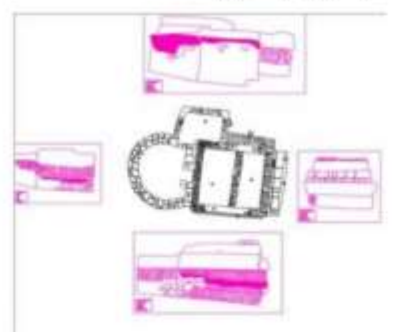


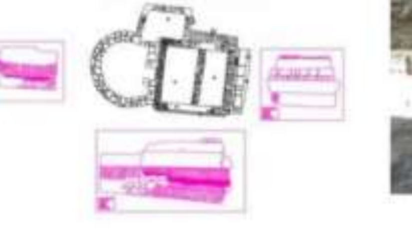
الشكل 14: الغرفة رقم 7.
(تصوير شخصي)



الشكل 15: الأحواض المزدوجة.
(تصوير شخصي)







الشكل 16: مقاطع المنشأة الصناعية.
(تصوير شخصي





الشكل 17: هيكل عظمي ضمن حفرة في التراب وهيكل عظمي ضمن جرة.

اللوحة رقم 5

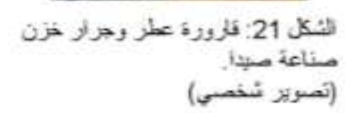


الشكل 18: شاهد قبر وأدوات زجاجية وعظمية.(تصوير شخصي)

الشكل 19: أدوات حجرية للنسيج.
(تصوير شخصي)



الشكل 20: فخار ذائب وأواني الطبخ صناعة صيدا.
(تصوير شخصي)



الشكل 21: قارورة عطر وجرار خزن صناعة صيدا.
(تصوير شخصي)

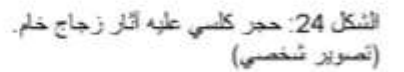




الشكل 22: قوارير عطور محلية الصنع وقواعد أفران وطينة من الفخار الذائب من طينة صيدا.(تصوير شخصي)



الشكل 23: ثقالات للنسيج.
(تصوير شخصي)



الشكل 24: حجر كلسي عليه آثار زجاج خام.
(تصوير شخصي)

# *Saida- Wastani site 1335- 1339; architectural finds, typological and historical study of artfacts.*

***Dr. Maha Mahmoud El Masri***•

***Abstract:***

The city of Saida in South Lebanon is one of many cities that is mentioned by various historians and in the writings of the travelers as being an active city commercially, economically and socially for the past three thousand years.

This city is rich in archaeological sites and contains architectural, urban and funerary ruins.

The archaeological excavations at the site of Wastani 1335/1339 revealed a number of cemeteries, workshops and others finds. In addition, it includes archaeological finds from the Hellenistic, Roman and Persian periods.

The discovered tombs included one or more skeletons that are of human and a series of incomplete ceramic vessels next to different other finds that were damaged due to illicit excavations. The types and functions of the ceramic vessels are various; they reveal essentially a local production from the own local clay of Saida, including new types.

To the west of the site, a number of large double cisterns were discovered. The walls were covered by waterproof sealant. These buildings were used for water conservation. Their main use is identified as professional textile workshops. A large number of tools made of pottery, bone and stones in pyramidal and pyramidal forms indicate their primary function. These cisterns date back to the late Hellenistic period - the beginning of the Roman era. In addition, the presence of large amounts of raw glass or raw materials, glass blocks and remains of glass furnace indicate to a place of industry. The presence of large amount of pottery wasters, remains of kiln, portable firing aids are often the clearest indicators of pottery production.

• ***Professor at Lebanese University and chairperson of Art & Archeology department Saida 5 and member of the research and study center in the Humanities Faculty (CRESH).***
*mmarcheologie@hotmail.com/ maha.elmasri@ul.edu.lb*

This study is an attempt to prove the presence of local industries. In this region, the basic soil of Sidon used from clay and sand and contributes to the exportation of perfumed oil from the first century BC until the second century AD. As well as to prove that, it is one of the first cities on the coast of Canaan, which contained this industrial center during the first century BC.

This is an indication on the importance of the region, the sociological and economical status as well as the trade level of this archaeological city.

***Keyword:***
Saida- Wastani site- Work Shops- Cemeteries- Ceramics- vessels- Funerary rites-